كيف نجاهد أعداء الباطن

إنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَه وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ النساء: ١ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

أما بعد؛ فإن أصدَقَ الحديثِ كتابُ الله وأحسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ محَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشَرَّ الأُمُورِ محْدَثَاتُها وكُلَّ محدثةٍ بدعَةوكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

لاشك أن لكل إنسانٍ عدوًا عدوٌ في الظاهر وعدوٌفي الباطن .... وعدو الظاهر صنفين :

عدو بوجه عام: ويكون عدوا لجميع المسلمين كأعداء الدين الذين أمرنا الله عز وجل بجهادهم حين يأمر الإمام بذلك.

✍ عدو بوجه خاص: ويكون كعداء شخصٍ ما للعبد علىٰ وجهٍ خاص لخلاف حدث أو لخصومة نشبت وما شابه ذلك. ويكون معروفًا ومعلومًا بعينه رجلًا كان أم امرأة.

– فالعدو الظاهر بالرغم من الأذىٰ المتحقق بسببه إلا أن أمره يسير؛ لأنه معروف ومتىٰ عُرِف العدو استطعنا دفع ضرره عنَّا بالاستعانة بالله عز وجل أما الأخطر فهم أعداء الباطن فنحن في حاجة لمعرفتهم ومجاهدتهم لكي نسلم وننجو.

كيف نجاهد عدو الباطن؟

الجهاد: مشتق من جُهد وهي الطاقة، فنقول بذلت جهدًا أي: بذلت طاقة قال تعالىٰ: (وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) التوبة : ٧٩ أي لا يملكون إلا طاقتهم أو وسعهم.

والجُهد بالضم: أي أجهد أو جهد في هذا الأمر؛أي أبلغ غايته وهو أن يجتهد في شيءٍ ويبلغ أقصىٰ ما عنده للوصول فيه لدرجة ومنزلة معينة..

والجَهاد بالفتح: هو الصبر؛وجاهد في سبيل الله مجاهدةً فالاجتهاد والصبر والمجاهدة في سبيل الله كل هذه الألفاظ بمعنىٰ بذل الطاقة أو بذل الوسع والجهد، فمعنىٰ جهاد العبد لأعداء الباطن: أي بذله أقصىٰ ما في وسعه وطاقته للانتصار عليهم...

وقيل: أن المجاهدة هي فطام النفس عن الشهوات ونزع القلب عن الأماني والشهوات.

فالأعداء الباطنة ثلاثة: النفس،والهوىٰ، و الشيطان.. وثلاثتهم يحتاج العبد في جهادهم لجهد وصبر وهمة واستعانة بالله جل وعلا.

أولا: هم النفس :

فالنفس تميل للشهوة فلا تشبع منها أبدًا،وتريدها عاجلةً غير آجلة فنفسك كالفرس الجموح إن تركت له الحبل فر وما استطعت التحكم به ولحاقه،

بل ويجرك هو خلفه إلى أن يشاء الله عز وجل شيئًا؛ لذلك قالوا أن الجهاد هو فطام النفس عن الشهوات وذلك في الشهوات المحرمه فالشهوات؛ **إما محرمة وإما ليست كذلك** فشهوة الطعام الحلال مباحة وكذلك شهوة حب الزينة والجمال إلى غير ذلك لكن كل هذا يكون بحدود بلا إسراف ولا ضرر وما لم يخالطه حرامًا.

▫ **أما المقصود بنزع القلب عن الأماني** :فهذه أيضا من الأمور التي تحتاج إلى مجاهدة فعندما يتعلق القلب بغير الله ويبعد عن طريقه – طريق الحق والإستقامة – يبدأ بالانشغال بالأماني والتخيلات والتهيؤات ويحيا في عالمٍ آخر مليء بتخيلاته وأحلامه وأمانيه. وتلك الأمنيات تتعدد وتختلف من شخصٍ لآخر فهذا يتخيل فلانة زوجةً له وذاك يتخيل أنه حصَّل الأموال الوفيرة من حرامٍ كانت أم من حلال وهذه لا يملأ فكرها وفؤادها إلا أولادها ومستقبلهم وحياتهم وهكذا..

فتستحوذ تلك الأفكار على العقل فتملؤه فلا يبقى فيه فرصة أو مكان ليمتليء بحب الله وحب رسوله أو بالتفكر في نعمه سبحانه وخلقه فتنتصر الشهوة بذلك ولا بُد..

ولحل تلك المشكلة على العبد أن يجاهد نفسه فيفطمها عن شهواتها،ويقطع عن قلبه التفكر في تلك الأمنيات والتخيلات وينزعها عنه نزعًا؛ لأنه لو ترك قلبه بلا حراسة لتشرب الشهوات والشبهات وركن قلبه لأمنياته وتخيلاته وخواطره.. وهنا يبتعد عن ربه وشرعه وما ينفعه ويصلحه.

ذكر الله عز وجل النفس في القرآن على ثلاثة أنواع :

نفسٌ أمارة ، ونفسٌ لوامة ،ونفسٌ مطمئنة .

☜ **فالنفس الأمارة :**

هي التي تميل إلى الطبيعة البدنيةوتأمر بالشهوات واللذات الحسية،

قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ يوسف ٥٣

فالنفس في الأصل تأمر بالسوء والمعاصي و الشرور وهذا الغالب على حال كثيرٍ من الناس ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ أي: إلا القليل فتميل النفس للطبيعة البدنية المخلوقة من التراب فتميل لكل ما يأتي من الأرض كأنواع الطعام والشراب المختلفة وهكذا.

☜ فمن رأى من نفسه ميلًا لذلك وأمرًا منها بالشهوات واللذات الحسية، فليعلم أنها مأوى كل الشرور والأخلاق الذميمة، بل ويسهل عليها جدًا اكتساب شرورٍ جديدة كالتأثر بأصحاب السوء فإن أمره صاحبه بشرٍ أطاع وإن وجهه لمنكرٍ فعل غير مكترث أحرام فعل أم حلال ! ويلبي صاحبها أوامرها ورغباتها –من مأكلٍ وملبسٍ ومشربٍ وغير ذلك – حتى تستحوذ عليه تمامًا فتجره وتسحبه للأسفل وتعلقه بسفاسف الأمور فلا يرى إلا مباعث الشرور ولا يفعل إلا كل منكرٍ وفجور.

في حين أن قلب المؤمن يجب أن يكون طاهرًا زكيًا معلقًا بالله فهو محل نظره سبحانه.

☜ النفس اللوَّامة :

هي النفس التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سِنة الغفلة وكلما صدرت منها سيئة بحكم جبلتها أخذت تلوم نفسها وتتوب وهذه النفس يحبها الله جل في علاه وقد أقسم بها في كتابه العزيز حيث قال: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۞ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ القيامة ١-٢.

فمن يملك هذه النفس فبشرى له فقلبه يزينه النور، وهو على طريق الاستقامة فيمشي فيه مرة ويجاهد نفسه عليه أخرى وإن وقع في معصية لا يلبث أن يتوب ويعود لطريقه الأول ولا تركن نفسه إلى المعصية على دوامٍ أبدًا.

النفس اللوامة درجات...

☜ **اعلم..**

أن النفس اللوامة درجات على قدر ما دخل لها من النور وعلى قدر انتباهها للغفلة التي كانت بها قبل اللجوء إلى الله والاستقامة على طريقه، فنور القلب تختلف قوته باختلاف طول مدة السماع عن الله من قصرهاوالبقاء على طريقه المستقيم والإلتزام بأوامره ونواهيه وكلما زادت هذه المدة كلما زادت درجة انتباه هذا الشخص لزلاته وتقصيره.

فالكل يخطئ ولكن درجه الانتباه لذلك الخطأ مختلفة فكلما زاد نور القلب زادت درجة انتباهه وسرعة رجوعه وتوبته ولا بُد. فلوأخطأ رجع وتاب وأناب بخلاف من قل في قلبه ذلك النور فيُذنب وربما ما علم أنه ارتكب ذنبًا من الأصل... ويزيد لوم النفس لصاحبها وترتقي بمعرفة طريق العلم والصحبة الصالحة وبقدر ما يقذفه الله فيها من نور وهداية وبقدر انتباهها لغفلاتها وزللها.

فمن له تلك النفس فهو في حاجة لزيادة علم عن ربه وزيادة إيمان في قلبه فيقف عند حدود الله ولا يركن لذنب اعتراه ولا لمعصية عرضت عليه ولا يستسلم للشيطان فتصير نفسه قوية عالية لتصل للنوع الثالث من الأنفس وهو **النفس المطمئنة**..

وكما ذكرنا أن صاحب النفس اللوامة عليه أن يشكر الله على هذه النعمةوإن كانت نفسه لا تزال ضعيفة لكن عليه أن يقوِّيها بهذا اللوم عند اقتراف كل ذنب فينزع ويتوب ويعود ويتخير صحبة الصالحين ويُكثر من مجالس العلم.

☜ **تصنَّع اللوم..**

لُمْ نفسك وإن لم يكن لديك ميولًا للوم فإن أذنبت ذنبًا –صغيرًا كان أم كبيرًا– فاستعظمه،ولُمْ نفسك عليه ليل نهار، وإن قصرت وفرطت..

فلُم نفسك على أوقاتك الضائعة،ولا تكن كمن يلوم نفسه في الكبائر كالسرقة مثلًا فيتوب ويعود ويرد الحقوق لأصحابها؛ لكن إن فعل فعلًا لا يظن أنه من الكبائر كالكذب أو الغيبة أو الحسد لا يلومها أبدًا وقد لا يلتفت للذنب من الأصل؛ وذلك لأن نفسه تعلم الشرع ولا تعلم من شرَّعه أو لا تعلم قدر معبودها فمن حرَّم السرقه هو من حرَّم الكذب والغيبة هو من حرم ترك الصلاة

فلماذا يلوم العبد نفسه على أمور ويترك اللوم في أمور أخرى بالرغم من أن المعبود الذي أمر بهذا وذاك واحد !

وللتوضيح نرى الآن جُل المسلمين في رمضان محافظين على الصوم قل من يُفطر منهم ويتجرأ على المجاهرة بذلك لأنه قد تربى أن للصيام هيبة وجلال فتمنعه نفسه اللوَّامة من الإفطار في نهار رمضان حتى وإن كان تاركًا للصلاة مدمنًا للمسكرات؛ لهيبة الصيام في قلبه فبنفس الطريقة عليه أن يقوِّي اللوم في قلبه في بقية الأوامر التي أمر الله بها كالصلاة والتي هي عماد الدين فمن كان مقصرًا في الصلاة فعليه أن يعرف قدرها؛ لتزيد هيبتها في قلبه ولا يقوى على التفريط فيها أو التقصير، وكذلك ترك المنكرات والفحش من القول وغيره.

فاحرص على مجاهدة نفسك الأمارة بالسوء....

☜ النفس المطمئنة:

هي التي تنورت بنور القلب حتي انقلعت عن صفاتها الذميمه كلهاوتخلقت بكل خلقٍ حميدقال تعالى : (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي) الفجر ٢٧:٣٠

اختلف أهل العلم لمن وُجه النداء في هذه الآية!

▪فقال فريق أن هذا النداء للنفس عند الاحتضار.

▫و قال فريق أن النداء لهم يوم القيامه

❀وفريق جمع الرأيين منهم ابن كثير وابن القيم فقالوا أن هذا النداء عند الموت ويوم القيامه – أي مرتين – فهذه النفس مطمئنة برضا الله عزّ وجلّ وبطاعاتها وأعمالها الصالحة، هي النفس التي اطمئنت بسعادتها وراحتها وأنسها بالله سبحانه التي تخلصت من شهواتها وشبهاتها وأخلاقها الذميمة وجاهدت عدوها اللدود – الشيطان – فارتقت بلومها هذا فأصبحت مطمئنة، فالإيمان يزيد وينقص والنفس تعلو وتزل فهذه طبيعة البشر فتارة أمارة وتارة لوامة وتارة مطمئنة لمن جاهدها وانتصر عليها والمُوفق من وفقه الله عزّ وجلّ. عن أم سلمة رضي الله عنها قالت:

(كانَ أَكْثَرُ دعائِهِ : يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ، قالَت :" فقُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ما أكثرُ دعاءكَ يا مقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبي على دينِكَ؟"، قالَ : "يا أمَّ سلمةَ إنَّهُ ليسَ آدميٌّ إلَّا وقلبُهُ بينَ أصبُعَيْنِ من أصابعِ اللَّهِ ، فمَن شاءَ أقامَ ، ومن شاءَ أزاغَ" .. فتلا معاذٌ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) صحيح الترمذي ٣٥٢٢

وقال صلى الله عليه وسلم: **(لقلب ابن آدم أشد انقلابا من القدر إذا اجتمعت غليانا)**

أخرجه أحمد٤/ ٤ وقال الألباني في الصحيحة (١٧٧٢) صحيح بمجموع طرقه.

ففي الغالب يمتلك الإنسان الثلاثة أنواع ولكن أيهم غلب علا...

▫ فإن رأيت من نفسك أمرًا بالسوء فادفع هذا السوء بكثرة الاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله عزّ وجلّ.

▫وإن كانت لوَّامة فقوّي جهادها ولومها لتصل للنفس المطمئنة.

▫ وإن كانت مطمئنة فهنيئًا لك والثبات الثبات حتى تصل لجنة عرضها الأرض والسماوات.

☜ واعلم..

أن النفس المطمئنة ليست في حاجة للجهاد فهي مطمئنة بطاعتها؛أما اللوامة فهي كالحرس الذي يحرس القلب والعقل ليدفع عنهما كل سوء؛ فإن أصيبا بالسوء تجاهد النفس اللوامة مع صاحبها لإنقاذ ما حل بهما من ضر وذلك باللوم والعتاب والمحاسبة والمجاهدة والمراجعةحتى تعود لما كانت عليه من طمأنينة.

فالنفس التي على كل عبد التأهب لمحاربتها هي النفس الأمارة بالسوء ☜ فهي منبع الشر وأساس كل خلق ذميم من حسد و كبر وإستعلاء ورياء.....

☜ واعلم ...

أن النفس تحتاج لوقفة ومجاهدة حقيقية، فالنفس الطيبه – اللوامة والمطمئنة– تنظر في الحال و المآل وتتفكر في كل خطوة تخطوهاحلال هي أم حرام ،أما النفس الأمارة بالسوء فتمنع صاحبها من الخيرات فلا يهمها إلا المتعة الحالية والشهوة اللحظية الزائلة؛ لذلك فالحذر الحذر..

ولِلنفس الأمارة صفتان :

- الانغماس في الشهوات.
- والامتناع عن الطاعات.

فاتباع الشهوات يسير أما فعل الطاعات والخيرات فبشق الأنفس؛ فصاحبها في صراع دائم إما ملكته وإما ملكها.

وقسَّم العلماء طبيعة النفس تقسيم آخر فسموها:نفس شهوانية و نفس غضبية ونفس ناطقة وجميعهم يحتاج المرء معهم إلى جهاد، ويدخلون تحت توصيف النفس الأمارة بالسوء.

☙ النفس كثيرة الأمر بالشهوات "الشهوانية" :

هي نفسٌ كثيرة النوم، كثيرةالأكل،والكلام،كثيرة الشهوة عمومًا، نفسٌ قوية من أخطر النفوس على الإطلاق لو لم يستطع صاحبها قهرها والسيطرة عليها تملكته وتحكمت فيه فإما ينتصر عليها وإما تنتصر عليه فإن انتصرت عليه لن يستطيع التوقف عن معصيةٍ أبدا؛ لأن نفسه الشهوانية تقوده بل تجره جرًا إلى الانغماس في شهواته وملذاته ولا يستطيع الرجوع والفرار منها إلا بجهد عظيم وبذل أعظم وتضرع وتذلل للملك جل وعلا أن ينقذه منها كمدمني المسكرات قادتهم نفوسهم الشهوانية إلى شهوات لا يحبونهاولا يتلذذون بها ولا يتمتعون لكن لا يستطيعون تركها والتخلص منها وهذه من العقوبات بالتأكيد. فكذلك كل إنسان إذا أذنب ذنبًا ثم كرره وأصر عليه فقد لذته التي كان يستشعرها في بداية اقترافه للذنب فلا سعادة ولا لذة ولا استقرار نفس ولا يجني من انقياده خلف شهواته إلا الخسران المبين في الدنيا والآخرة ولكنَّه الاعتياد على الذنب والأسر للشهوة التي لا يستطيع الانفكاك عنها بسهولة.

فعلى العبد الوقوف لنفسه الشهوانية بالمرصاد؛ لأن عاقبة التهاون في جهادها خطيرة كما وضحنا.

قال رسول الله ﷺ: (**لما خلق اللهُ الجنةَ قال لجبريلَ: اذهبْ فانظرْ إليْها، فذهب فنظر إليها، ثُمَّ جاء فقال: أيْ ربِّ! وعزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بها أحَدٌ إلَّا دخَلَها، ثُمَّ حفَّها بالمكارِهِ، ثُمَّ قال: يا جبريلُ! اذهبْ فانظرْ إليها ، فذهب، ثُمَّ نظر إليها، ثُمَّ جاء فقال : أيْ ربّ! وعزَّتِكَ لقَدْ خشِيتُ أن لا يَدْخُلَها أحَدٌ ، فلما خلق اللهُ النارَ، قال: يا جبريلُ! فانظرْ إليها ، فذهبَ فنظر إليها، ثُمَّ جاء فقال: وعزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بها أحدٌ فيدخُلُها، فحفَّها بالشهواتِ،**

ثُمَّ قال: يا جبريلُ اذهبْ فانظرْ إليها، فذهب، فنظرَ إليها فقال: أيْ ربِّ وعزَّتِك لقدْ خشيتُأن لا يبقى أحد إلَّا دخلَها) مسند أحمد٨٣٧٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٢١٠

۞ فلا يسمع أحدٌ عن الجنة وجمالها وروعتها ونعيمها المقيم إلا أراد دخولها والمكث فيها، ففيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكنها حفت بالمكاره فربما كره شخصٌ القيام من نومه لصلاة الفجر أو كره الوضوء في البرد القارس أو كرهت نفسه الصيام في حر الصيف أو كرهت المسلمة ارتداء الحجاب مع أشعة الشمس، فالمكاره كثير حتى أن جبريل قال لله عز وجل أنه خشي ألا يدخلها أحدٌ من شدة المكاره والفتن حولها .

فكل الأمور التي أمرك بها الله عز وجل وربما كرهتها نفسك إذا اجتهدت وجاهدت وعصيت نفسك وفعلتها هي خطوة لدخولك الجنة التي حُفت بتلك المكاره ليعلم الله الصادق من الكاذب، من أراد الجنة بصدق من الدّعي الذي تمنى ولم يفعل لذلك أفعالًا.

۞ وكذلك النار لَمَّا رآها جبريل ظن أنه ما سمع بها وبعذابها وبسعيرها وحرها أحدٌ إلا ابتعد عنها قدر استطاعته قال ﷺ: (**اشتكَتِ النارُ إلى ربها ، فقالتْ : ربِّ أكلَ بعضي بعضًا ، فأذِنَ لها بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ في الشتاءِ ونَفَسٍ في الصيفِ ، فأشدُّ ما تجدونَ من الحرِّ ، وأشدُّ ما تجدون من الزَّمْهَرِيرِ.**) صحيح البخاري ٣٢٦٠ واللفظ له، مسلم ٦١٧ ......

ولكن لما رأى جبريل ماأحيطت به النار من شهوات وملذات ظن أنه لن يبقى أحدٌ إلا دخلها . فكلما اتبع العبد ما حرمه الله وأحبته نفسه ومالت إليه خطى بنفسه خطوة إلى النار أعاذنا الله وإياكم منها فلا يترُكنَّ العبد نفسه حتى يقع في الذنب حتى ولو استصغره، فمعظم النار من مستصغر الشرر . فكل محرم يقترفه وكل معصية يتجرأ

بها على الله عز وجل تُكتب عليه ولا بد فالطريق أمامه فليختر لنفسه، إما جنة وإما نار، ولا إجبار...

قال ابن بطال:

إن جهاد المرء لنفسه هو الجهاد الأكمل قال تعالى:(**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ - فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ**) النازعات ٤٠-٤١...فالجهاد الأكبر هو جهاد النفس والهوى.

ثانيا: الهوى :

فاتباع الهوى يقود صاحبه للضلال والفساد وطمس البصيرة عن رؤية الحق، وهو أشد وأخطر من النفس الأمارة بالسوء، فالنفس الأمارة تأمر صاحبها بالسوء وهو يعلم أن فعل من السوء المحرم والمنهي عنه، أما الهوى يسبب العمى– والعياذ بالله – فمع الوقت لا يرى الإنسان الحق حقا ولا يرى الباطل باطلا، ومعلوم أن صاحب النفس الأمارة بالسوء مع جهاده لها تتحول لنفس لوَّامة ثم مطمئنة بالاستعانة بالله عز وجل، لكن صاحب الهوى بلاؤه عظيم، فهو لا يدري ولا يرى مصيبته من الأصل، يقول الله في كتابه العزيز: (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ - وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) الأعراف ١٧٥-١٧٦

فقد أمر الله عز وجل نبيه أن يخبر الأمة بحال من رُزق الآيات وجاءه الحق واضح جلي فعلمه وفهمه ثم انسلخ ونزع نفسه منه فكانت النتيجة أنه صار من الغاويين...

ﮋ ونرىٰ الآن مثل هؤلاء الكثير والكثير، فكم من سائرٍ علىٰ الطريق ضل وسقط، وكم من حافظٍ وقارئٍ وطالب علمٍ علىٰ الجادة حاد عن جادته واتبع هواه فأضله عن سواء السبيل. ولو شاء الله عز وجل لرفعه لكنه سبحانه لم يشأ ذلك؛ لعلمه بحال قلبه وسوء سريرته ورفضه ورده للحق والصلاح وحبه للباطل والفساد. وأمر سبحانه وتعالىٰ نبيه بقص القصص؛ لما في ذلك من عبر وعظات تجعل العبد يتفكر في حاله ولا يغتر أبدًا بنفسه ويحذر من الزلل واتباع الهوىٰ. ولذلك كان إبراهيم عليه السلام يقول: (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ) إبراهيم ٣٥، فإن كان هذا هو حال خليل الله إبراهيم عليه السلام فكيف بحال من هو أقل منه منزلة من المسلمين !فعلينا جميعًا أن نتبرأ من الاعتماد علىٰ حولنا وقوتنا ونكون علىٰ حذرٍ دائم ولا نأمن مكر الله، ونكون في حالة ذكرٍ ووجلٍ وخوفٍ دائم لعل في ذلك تكون النجاة..

◘قال ابن الجوزي رحمه الله:اعلم أن مطلق الهوىٰ يدعو إلىٰ اللذة الحاضرة من غير التفكر في العاقبة، ويحث علىٰ نيل الشهوات عاجلا، وإن كانت سببا للآلآم والأذىٰ في العاجل ومنع اللذات في الآجل . انتهى.

ﮋ فالهوىٰ يدعو صاحبه لنيل الشهوات،حتىٰ وإن كانت تلك الشهوات سببًا في الآلام وإن لم يستمتع بها العبد ، فالمتبع لهواه لا يفكر في عواقب الأمور، ولا يهتم بمآلاتها، كمن يقول دومًا " أنا حر " وهذا لو كان حرًا لتحرر من اتباع هواه، ولكنه تحرر من عبودية ربه وعبد هواه ولا حول ولا قوة إلا بالله، فمن لم يعبد الله عبد كل شيء.

◘قال إبراهيم بن علقمة لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر، فماذا عملتم في الجهاد الأكبر ،قالوا وما الجهاد الأكبر؟ قال جهاد النفس .

﴿ فجهاد النفس أشد من جهاد العدو ومن قطع الرؤوس؛ فجهاد العدو مدته قصيرة محددة، ونهايته إما نصرٌ وإما شهادة أما جهاد النفس فلا ينفك عن الإنسان إلا بانفكاك روحه منه، مستمر طوال عمره لا يتركه إلى أن تبلغ الحلقوم ..

▪ **قال يحيى بن معاذ:** أعداء الإنسان ثلاثة دنياه، شيطانه، نفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات. انتهى.

والزهد هو :ترك جميع الأشياء التي لا تنفعك أو تفيدك في الآخرة، فما لا يزيد حسناتك في أخرك ويرفعك في الدرجات يُترك وإن كان غالٍ على النفس ومحبب، فهذا حال الزاهد دائم الترك لما لا يرجو منه الخير..

فهل رغد العيش -كالمسكن والملبس والمأكل- وغيره من متاع الدنيا ينافي الزهد؟

لا ينافي رغد العيش الزهد بشرطين :

١ - ألا يكون العبد مستخدمًا للنعم التي عنده في الفخر والتعالي.

٢ - ألاينشغل صاحبه عن أمر آخرته والغايةالتي خُلق من أجلها وهي العبادة فإن سقط كليهما أو أحدهما فهنا يكون التعارض بين الزهد وبين حال هذا العبد، فالزاهد وإن كان في رغدٍ من العيش فدنياه في يده ليست في قلبه فلا يتعلق قلبه بأحد ولا بشيء ولا يُعلق سعادته إلا بالله ﷻ ولا ينشغل فكره وفؤاده إلا بطاعاته وأنسه بالله فكن مثل نبيك ﷺ كان لا يطلب مفقودًا ولا يرفض موجودًا راضٍ برزق الله أيًا كان فاتبعه ولا تخالفه قيد أنمُلة فخير الهدي هديه وخير الفعل فعله صلوات ربي وسلامه عليه.

﴿ أما النفس سريعة الغضب "الغضبية" :

فتحتاج هذه النفس أيضًا إلى جهادٍ شديد ؛ فأكثر الذنوب تقع بسبب الغضب فهي نفسٌ تنتصر لذاتها على الدوام ولا تقبل ما يخالف رأيها، كثيرة التشاجروالنزاع والغضب

ورفض الآخر وانتقاده، ولو نظرت هذه النفس لحالها وحاسبته وعاتبته ووفرت جهد انتقاد الغير و النزاع وغيره لتقويم ومجاهدة ذاتها وعلاج أمراض قلوب العبد وآفات لسانه وسلوكياته الذميمة لكان خيرًا لها وأقوم وأنفع ولاستراحت وأراحت .

ومن صفات هذه النفس الميل للانتقام حتى من أقرب الناس، وكثيرًا ما يدعو الشخص ذو النفس الغضبية على من يغضبه حتى ولو كان الأمر بسيطًا جدا ويسيرًا وهذا من شهوة الانتقام وهذه النفس تحول بين صاحبها وبين الوصول إلى الله عز وجل فهي تهلكه فحسد تارة وإنتقام تارة وبغض للناس تارة واحتقارهم أخرى؛ لذلك من ابتلي بمثل تلك النفس وجاهدها وعمل على تقويمها فله أجر عظيم قال تعالى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) آل عمران ١٣٤،في حديث أبي هريرة رضي الله عنه :(أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أَوصِني،قال : (لاتَغضَبْ) فردَّدمِرارًا،قال: (لاتَغضَبْ) البخارى ٦١١٦.

لا تغضب فالغضب مأوى كل شر؛ فبسبب الغضب يسب المسلم ويغتاب ويقع في كثيرٍ من محرمات اللسان وربما حُرم من خيرٍ كثير كَبرِّ الوالدين أو كطاعة الزوج للمرأة وغيرها من الطاعات..

علاج الغضب

قال رسول الله صل الله عليه وسلم: (إذا غضبَ أحدُكم وهو قائمٌ فلْيجلسْ، فإن ذهبَ عنه الغضبُ وإلاَّ فلْيَضْطَجعْ) صحيح أبي داود٤٧٨٢ وصححه الألباني، وقال ﷺ: (إذا غَضِبَ أحدُكم فلْيسكتْ) مسند أحمد ١/ ٢٣٩ وغيره وصححه الألباني في الصحيحة١٣٧٥ ولما أرادالنبي ﷺ أن يبين القوي فقال: (ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعةِ ، إنَّما الشَّديدُ الَّذي يملِكُ نفسَهُ عندَ الغضبِ) صحيح البخارى٦١١٤،ومسلم ٢٦٠٩.

ﷻ والنفس الناطقة :

هي نفسٌ ذات صفاتٍ حميدة ولكن تحتاج لمجاهدة في جانبٍ آخر فهي تملك الخبث و الحيلة والمكر والرياء، وفي الغالب ذوي النفوس الناطقة علىٰ قدر عالٍ من الذكاء، نفسٌ كثيرة التفكيروالابتكار والتذكر، لكن! لو لم تنضبط هذه النفس بضابط الشرع والكتاب والسنةستزل بصاحبها في مستنقع المعاصي والذنوب ولا بُد وتصير صفاته الحميدة من ذكاء وقوة فهم وحفظ نقمة عليه فيستعمل تلك الصفات في الشرور والاحتيال علىٰ الخلق ويجمِّل له الشيطان هذه الأمور ويمتدحه عليها ويُحبب إليه فعلها ويشعره بلذة حين يحتال ويخدع أحد الخلق؛ لشعوره بالعلو والفخر أنه الذكي أما غيره فلا..كمثل السارق الذي بذكائه يُخطط ويُدبر لحيلته وينصب شباكه علىٰ فريسته فيسرق هذا وذاك مرة بل مرات ولا ينكشف أمره ولا يفتضح إلا أن يشاء الله ﷻشيئًا، وكمثل من تخدع الناس بحسن مظهرها وسمتهاوهي تحمل في قلبها كلَ شرٍ وسوء، وتدبر المكائد لهذه وتلك، فهؤلاء كانت النعمة عليهم نقمة قد تُؤدي بهم للعذاب الأليم في الآخرة.

☜ **ثالثا الشيطان :**

▫**قال بعض الأئمة:** جهاد النفس يدخل في جهاد العدو، فإن الأعداء ثلاثة، رأسهم الشيطان ، ثم النفس؛ لأنها تدعو للذات المفضية للوقوع في الحرام، والشيطان هو المعين علىٰ ذلك ويزينها للإنسان في ظل هذه المعاصي، والهوىٰ، والحل في مخالفه الهوىٰ..

قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم محذرًا من عداوة الشيطان: (إنَّ الشَّيطانَ قعدَ لابنِ آدمَ بأطرُقِهِ ، فقعدَ لَهُ بطريقِ الإسلامِ ، فقالَ : تُسلمُ وتذرُ دينَك ودينَ آبائِكَ وآباءِ أبيكَ، فعَصاهُ فأسلمَ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الهجرةِ ، فقالَ : تُهاجرُ وتدَعُ أرضَكَ وسماءَكَ، وإنَّما مثلُ المُهاجِرِ كمَثلِ الفرسِ في الطِّولِ، فعَصاهُ فَهاجرَ ، ثمَّ قعدَ لَهُ بطريقِ الجِهادِ، فقالَ : تُجاهدُ فَهوَ جَهْدُ النَّفسِ والمالِ ، فتُقاتلُ فتُقتَلُ، فتُنكَحُ المرأةُ، ويُقسَمُ المالُ،

فعصاهُ فجاهدَ، فقالَ رسولُ اللهِّ: فمَن فعلَ ذلِكَ كانَ حقًّا على اللهِّ عزَّ وجلَّ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ ، ومن قُتِلَ كانَ حقًّا على اللهِّ عزَّ وجلَّ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ، وإن غرِقَ كانَ حقًّا على اللهِّ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ، أو وقصتهُ دابَّتُهُ كانَ حقًّا على اللهِّ أن يُدْخِلَهُ الجنَّةَ) صحيح النسائي ٣١٣٤

ﷺ لم يدع الشيطان طريقًا ولا وسيلة للوصول للإنسان إلا اتبعها وجدّ فيها واجتهد، فبدأ الحديث بوقوفه للإنسان على باب دخولِه الإسلام فخوفه منه كما فعل بأبي طالب فمات على الكفر؛ لأنه استمع له واتبعه فردد عليه أتترك دين آبائك! أتترك ما تربيت عليه ونشأت! وكذلك في حياتنا نحن الآن لو أن شابًا علم سبيل الصالحين وقرر اتباعهم واتباع أمر ربه وطريقه المستقيم لخوّفه الشيطان أيضًا، أتترك أصدقائك! أتترك مجالسهم وضحكهم! أتترك الاختلاط الذي اعتدت عليه ! أتترك حياتك لتكون منبوذا وحيدًا غريبًا ! أتتركين التبرج والتنمص، فينظر زوجك لغيرك!.... ولكن لو تذكر العبد ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**بدأَ الإسلامُ غريبًا، وسيعودُ كما بدأَ غريبًا، فطوبى للغرباءِ**) صحيح مسلم ١٤٥، وقول الله عز وجل: (**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ**) البقرة ٢٦٨،وعلم أن هذا دأب الشيطان، واستعان بالله عز وجل وقوّى عزيمته وجاهد الشيطان لما انزلق في طريقه أبدًا ولاستطاع الانتصار عليه فإن كيده كان ضعيفًا، بل من كرم الله عز وجل وفضله أن يبدله خيرًا، مجالس أطيب من الأولى وأصدقاء أفضل وصحبة صالحة تعينه على أمور دينه ودنياه ولانشرح صدره واستشعر لذة الأنس بطاعات ربه والتي لا تعادلها لذة..

▪قال ابن رجب:وكذلك جهاد العدو الباطن، وهو جهاد النفس والهوى، فإن جهادهما من أعظم الجهاد .

▪قال يحي بن معاذ :جاهد نفسك بأسياف الرياضة، والرياضة على أربع أوجه: القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام.

فقلة الطعام يتولد عنها موت الشهوات، فالاعتدال مطلوب في كل شيء، قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) الأعراف ٣١

وقلة المنام تجعل الإرادة قوية قال تعالى: (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) المزمل ٢-٤،

فأمر الله تعالى نبيه بقيام الليل وأمر المسلمين كذلك، فقيام الإنسان ليلًا للصلاة يُكسبه صفاءً في الإرادة، فلا يُفكر في شرٍ ولا في شهوات وملذات محرمة؛ لذلك قيل: قيام الليل دأب الصالحين وشعار المتقين، وقد أثنى الله عز وجل على قائمي الليل قليلي النوم فيه، فقال: (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) الذاريات ١٧-١٨، فلا يأمر الله عز وجل بشيء ويثني عليه إلا وكان فيه صلاح وفلاح العباد..

- وقلة الكلام للسلامة من الآفات فمن كثُر كلامُه كثر خطؤه؛ لذلك قال رسول الله ﷺ: (من كانَ يؤمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فلا يؤذِ جارَه ، ومن كانَ يؤمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فليُكرِمْ ضيفَه ، ومن كانَ يؤمنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ فليقُلْ خيرًا أو ليصمُتْ) متفق عليه واللفظ للبخاري ٦٠١٨، فمن كانت لديه طاقه كلامية عليه أن يستغلها في ذكرٍ أو قرءان أو أمر بمعروف أونهي عن منكر، فقد أثنى الله سبحانه على أهل الفردوس إذ قال: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) المؤمنون ٣؛وحمل الأذى من جميع الأنام يُبلِّغ العبد الغايات فأشد شيء على النفس التحمل والحلم عند الجفاء والصبر عند القسوة؛ ومن تكون هذه صفاته تزداد درجاته وتصفو نفسه ،يُرفع عند الله عَزَّوَجَلَّ وله الأجر العظيم.

▪ قال بعض أهل العلم:

يدخل عليك لص الهوىٰ وأنت في زاويه التعبد، فلا يرىٰ منك طردًا له فلا يزال بك حتىٰ يخرجك من المسجد.

أي يهاجمك الهوىٰ والشيطان وأنت منشغلٌ بطاعاتك وعباداتك فيطرحون عليك بعض الأفكار والشهوات فإن لم يجدا منك ردًا وطردًا وصرفًا لهما وسوس الشيطان وحاول إغوائك بأي شيءٍ كان؛ ليخرجك من طاعتك ويصرفك عنها، فلو رزقك الله الهمة في الطاعات من صلاة وصيام وقيام وذكر وقرآن ومجالس علم وأعمال بر وهجمت عليك الهواجس والوساوس فلتعلم أن عدوك قد طرق عليك الباب فإن تركته دخل، وإن دخل الشيطان والهوىٰ قلبك أخرجاك من مسجدك الملىء بالطاعات والعبادات..

فانتبه!!

إن رأيت إشارة داعي الهوىٰ فلا تتوقف له واصرفه فورًا وإن سمعت وساوس الشيطان، فازجره وقل له اخسأ يا لعين،وإن شعرت بضعف نفسك الأمارة فقوِّمها باللوم والاستغفار والتوبة والأوبة لباريء نفسك ومربيها.